

"التعليم الديني البدوي في صحراء شنقيط، دراسة في التاريخ والمناهج"

الدكتور: حسنة الغامدي. جامعة الملك عبد العزيز بجدة

الدكتور: طارق لعجال. جامعة عفت بجدة

المملكة العربية السعودية

ملخص

تعتبر المحاضر الموريتانية ظاهرة فريدة وغاضمة في تاريخ مدارس التعليم الديني في العالم الإسلامي، حيث تعتبر من أقدم الانماط التعليمية التي صمدت أمام تغيرات التاريخ والمجتمعات واستطاعت عبر القرون التي عاشت فيها أن تجد لها مكاناً بارزاً في صيرورة تطور التعليم الديني في غرب العالم الإسلامي، وعلى الرغم من قدمها الزمني وإنجازاتها الكبيرة المتمثلة في المستوى العلمي لخريجها إلا أنها ظلت مغمورة، ومجهولة في عند العلماء والمؤرخين المسلمين والغربيين، وذلك لجملة أسباب لعل أبرزها العزلة الجغرافية والسياسية والاجتماعية للمنطقة التي نشأت فيها. تحاول هذه الورقة الوقوف على حقيقة هذه المؤسسة التعليمية من خلال تتبع مراحل ظهورها تاريخياً وتطورها، ومناهجها والإشكاليات التي تواجه وجودها وبقائها. عرضت الدراسة الكثير من الحقائق المتعلقة بهذه المؤسسة من حيث تعريفها، وتاريخها، وهيكلتها ومناهجها وإنجازاتها وختمت بتصور لمستقبلها.

Abstract

The bedouin Mouritanian schools of Mahdara is a unique phenomenon in the history of religious education in the Islamic world, it is considered as one of the oldest

educational styles that withstood changes of history and societies over the centuries, the uniqueness of this institution comes from different aspects such as, its old educational systems, educational structure, and curriculum, in addition to its preferred isolated geographical areas. Despite of its great achievements which can be traced through the quality of its graduates. This paper attempts to determine the truth of this institution by tracking historical appearance and development stages, the curriculum and problems facing their existence and survival. The study seeks to offer an academic understanding to this institution, through digging in its history, development stages, structured curricula, achievements and challenges that face its future.

أ. مقدمة: البداءة وقيمة العلم

يعود ظهور موريتانيا وقبائلها على مسرح الأحداث في شمال وغرب إفريقيا إلى ظهور دولة المرابطين بينهم، والتي نجحت في بناء أول وحدة سياسية فكرية بين قبائل المنطقة المتناحرة، إلا أن اختفاء دولة المرابطين سنة 1147م ترك فراغا سياسيا ودينيا، لم يحاول الموحدون الذين جاؤوا من بعدهم (1121-1269) ملئه نظرا لتركيزهم على شمال الجزائر والمغرب والأندلس. وفي غياب القوة السياسية الموحدة، وبداية اندثار النظام التعليمي القوي الذي بناه المرابطون بدأت

مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية
مجلة دورية دولية محكمة
بعض القبائل الموريتانية في محاولة سد الفراغ السياسي والفكري في شنتييط والتي
عرفت في أدبيات ما بعد المرابطين بالبلاد السائبة

¹ وهو ما تولته قبائل بنو حسان وقبائل الزوايا² اللتين شكلتا قيادة مزدوجة للمجتمع الشنقيطي³. حيث مارست الزوايا دور التوجيه الديني والقيادة الروحية والعلمية وإدارة الشؤون التجارية و الاقتصادية فيما مارست قبيلة بنو حسان القيادة السياسية و العسكرية، وكنتيجة لهذا التحالف الصحراوي، تركزت في المجتمع هذه القيادة المزدوجة والقائمة على تمجيد شأن العلم والسلاح معاً. وبالرغم من الطابع الصحراوي للبيئة الموريتانية التي استقر في عرف المتخصصين منذ ابن خلدون إلى يومنا هذا أنها تعتبر بيئة قاحلة غير صالحة للإنتاج الفكري ناهيك عن الازدهار العلمي والثقافي⁴، وإذا كان مصدر هذا الاقتران الاستنباطي الذي تراءى للدارسين طويلاً أنه تلقائي بين البادية و القفر العلمي والجهل من جهة، وبين المدينة والعلم والمعرفة من جهة ثانية، هو توافر مستوى من التراكم المادي والبشري الذي يسمح بإنتاج ثقافي في المدن في معظم الأحيان، وشدة وشظف العيش المتلازم مع حياة البادية؛ على أن الأمر اختلف تماماً كما يرى دودو ولد عبد الله في الحالة الموريتانية التي شهدت لأول مرة في تاريخ التجمعات الاسلامية أول بادية تتعاطى الثقافة العاملة درساً وتأليفاً، واحتضنت مجموعة البدو الوحيدة التي تملك تقاليد ثقافية مدونة ومكتوبة، في حين كانت البوادي الأخرى تعيش عالة على أهل المدن⁵

وقد انعكست حالة ارتباط البدو بالعلم والثقافة حالة تماهي غريبة بين الطرفين وميل شديد للدرس العلمي انعكس على مفردات اللغة اليومية للقبائل الموريتانية التي ساد بينها في ثقافتها الشعبية المساجلات العميقة بين قيمة العلم وقيمة المال في الحياة والتي عادة ما كان العلم يفوز فيها على حساب المال⁶، كما سادت الامثال الشعبية الممجدة لقيمة العلم وافضليته على باقي المفاخر، كقولهم "ما العيش إلا تحت الركاب أو تحت كتاب"⁷، كما عكست قيم البادية وميزاتها

واوصافها لغة الشناطقة التربوية منها على سبيل المثال أطلقوا على من لم يكتب درساً جديداً كل يوم لفظ غب، أو غاب، كانعكاس لحالة العطش وقلة الماء في حياة البادية⁸، ولعل مقولة مقولة الرامهرمزي من رجال القرن عن الراحلين في طلب العلم: " شعث الرؤوس خلقتان الثياب خمص البطون ذبل الشفاه شحب الألوان نخل الأبدان قد جعلوا همهم هما واحدا ورضوا بالعلم دليلا ورائدا لا يقطعهم عنه جوع ولا ظمأ ولا يملهم منه صيف ولا شتاء"⁹ والتي يحفظها كل الشناطقة قد مثلت بالنسبة لهم إطار فكريا داعما لاعتقاداتهم وميولهم نحو تمجيد العلم والمعرفة في بيئة قراء كبيئتهم. هذا عن الناحية الشفوية والثقافة الشعبية، أما من الناحية العلمية التألفية فقط انعكس الطابع البدوي الصحراوي والرغبة في طلب العلم على مؤلفات الكثير من علماء شنقيط الذين ألفوا الكثير في فضل البادية والحياة العلمية فيها مثل "كتاب البادية" الذي يؤسس لفقه البادية¹⁰.

يعود الفضل إلى هذا الترسخ العلمي والثقافي في هذه البيئة الصحراوية إلى مؤسسة تربوية اشتهرت في تاريخ شنقيط باسم المحضرة، والتي لعبت الدور الأبرز في التاريخ السياسي والثقافي للمنطقة¹¹ كما سنرى، وهي الحقيقة التي عبر عنها الرحالة والغزاة الفرنسيون عندما حلوا بالمنطقة سنة 1902م، فقد لاحظ كامبي دولس (Camille Douls) هذه الخصوصية التي ميزت سكان صحراء شنقيط عن غيرهم من سكان المناطق المجاورة، وتحدث عن مظاهر من الثقافة العالمة في هذه البادية قائلا: "إن البيضان يتخذون من خيامهم أكاديميات حقيقية"¹². ويضيف هذا الرحالة الذي زار المنطقة سنة 1887 م قائلاً: "إن جميع هؤلاء البداءة تقريباً يتعاطون كتابة العربية"¹³، مؤكداً أن "المعرفة والذكاء اللذين يميزان هؤلاء البدو يبلغان درجة من التطور تعد مفارقة لما يطبع المسلمين المقيمين بإفريقيا الشمالية"¹⁴، بينما يجزم المستشرق الفرنسي رني باسي (René

(Basset) بأن لدى البيضان البدو في شنقيط ثقافة أدبية أرقى وأعلى مما لدى جل سكان ما يعرف بالجزائر¹⁵. عاقدا مقارنة بينهم وبين المثقفين من تونس والجزائر معطيا الأفضلية لمثقفي البادية الموريتانية عن نظرائهم¹⁶. من هنا تطرح إشكالية هذه الدراسة نفسها، وهي تدور حول حقيقة هذه المؤسسة التربوية البدوية التي كان لها الأثر الأكبر في صناعة تاريخ موريتانيا الثقافي والسياسي، وكذا نشأتها وتطورها وآلياتها ومناهجها والمشاكل التي تواجه وجودها.

ومن الغريب أن هذه المؤسسة التربوية بالرغم من دورها بقيت مدفونة في صحراء شنقيط، ولم تتناولها الدراسات والبحوث إلا بشكل نادر ومتأخر، فلولا بعض الدراسات التي أنجزها الباحثون الفرنسيون إبان الفترة الاستعمارية والقليل من الأعمال العلمية التي كتبها الموريتانيون انفسهم لم يسمع أحد بهذه المؤسسة لحد اليوم. ويعتبر هذا من اهم عوائق البحث في تاريخ وواقع هذه المؤسسة، حيث تكاد تخلو الكتابات العربية من أي كتاب متخصص في حقيقة وتاريخ المحاضر، ماعدا كتاب المؤرخ الموريتاني خليل النحوي " شنقيط المنارة والرباط " والذي طبع سنة 1987، والذي خص في جزء كبير منه المحاضر وتاريخها، لكن الكتاب يقف عند حدود سنة 1987، ولا يعطينا واقع المحاضر في عالم اليوم، ويكاد يكون الدراسة العربية المعمقة الوحيدة في الموضوع، إذا أضفنا إليه دراسة ولد عبد الله (ددود) الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17-18 م) والتي نال بها درجة الدراسات العليا في التاريخ، من جامعة الملك محمد الخامس، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالرباط،-1992 1993، والتي لم تنشر بعد، أما باللغة الفرنسية فهناك مجموعة من الباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع منهم الباحث الموريتاني، el Ghassem Ould Ahmedou في اطروحته للدكتوراه في جامعة السوربون 3 سنة 2012 تحت

عنوان Traditional teaching in Mauritania: The Mahadra or school of camel¹⁷ وقد أَلَم الباحث بموضوع المحاضرة تاريخيا وأجرى جملة من الدراسات الميدانية، لكن إشكالية غياب الدراسات والاحصاءات الحديثة كانت العائق الأكبر امامه في الوقوف على واقع النظام المحظري. وقد كتب الباحث نفسه رسالة الماجستير في جامعة السوربون سنة 2007 حول الموضوع نفسه. كما أن هناك دراسة منشورة لمجموعة من الباحثين الموريتانيين بعنوان L'enseignement coranique traditionnel¹⁸. Mahadras de Nouakchott dans les

وهي دراسة مسحية حديثة نشرت سنة 2009، وفيها الكثير من التفاصيل لكنها لم تتطرق إلى النظام التعليمي المحظري وتاريخ تطوره، واقتصرت على ايراد الاحصاءات والبيانات حول عددها واعداد الطلبة والمسائل البيداغوجية، وسنستفيد منها في بعض الأرقام والاحصاءات الحديثة التي وردت فيها. ولعل اهم مصدر يمكن العودة إليه في تاريخ المحاضرة هي الكتابات الفرنسية وتقارير الحكومة الفرنسية، والتي تطرقت في الكثير منها لحقائق كثيرة عن المحاضرة لكنها تبقى محصورة في الإطار التاريخي الذي كتبت فيه، حيث لا يمكن اعتبارها مصدرا لمعرفة حقيقة النظام المحظري تاريخيا و في أيامنا هذه، ولعل من اهل الدراسات الفرنسية دراسة الباحث André Lecourtois والمعنونة *Etude expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel en Mauritanie, Entreprises et développement*¹⁹ وهي دراسة وافية للواقع الثقافي والجغرافي للمجتمع الموريتاني وتناولت موضوع المحاضر لكن بشكل محدود، ومربوط بالحدود الزمنية للدراسة وهي 1900-1978، على أن موضوع المحاضر لم يخصى بأي دراسة

باللغة الانجليزية، لأسباب تبدوا غير واضحة لحد الآن، حيث لم نعر على أثر دراسة اكااديمية حول هذا النظام التعليمي التقليدي بالرغم من تأثيره الكبير في البنية الثقافية والسياسية لمجتمع غرب افريقيا الموريتاني. والشهرة الكبيرة التي يتمتع بها خريجوا هذه المحاضر في العالم الإسلامي، بل وسعي الكثير من الدعاة والمسلمين لتقليدها في بلدانهم كما هو الحال مع كلية الزيتونة التي أسسها حمزة يوسف في مدينة بيركلي بكاليفورنيا سنة 2009، وغيرها. وسنحاول في هذه الدراسة أن نركز على الجانب الوصفي لحقيقة هذه المؤسسة التعليمية من الجانب التاريخي والمنهج التعليمي والاجتماعي الذي تكرسه، ولن نستغرق كثيرا في تفاصيل الدراسات المسحية النوعية تاركين ذلك لفرصة اخرى.

ب. الإطار التاريخي:

يكاد المؤرخون الموريتانيون مثل المختار و النحوي²⁰ والفرنسيون مثل Francis de Chassey²¹ يجمعون على أن تاريخ الحضرة يعود إلى ظهور دولة المرابطين البدوية في منطقتهم وتحديدًا إلى الحركة الإصلاحية التي بدأها الشيخ عبدالله بن ياسين²² والتي اضطر في بدايتها إلى الانزواء في الصحراء بالقرب من نحر السنغال بعد تصادمه مع نفوذ كبار قبيلة صنهاجة، وأقام عندها رباطًا (مدرسة) سنة 431هـ 1039م جمع فيها جملة من مريديه وتلاميذه²³، لتظهر بذلك نواة النظام التعليمي الحضري، والتي مكنت عبد الله ابن ياسين بعد مرور عشر سنوات من تأسيس دولة المرابطين بعد تزايد أعداد طلبته ومريديه. وبعد وفاة عبد الله ابن ياسين توجه الزعيم الممتوني الجديد أبو بكر بن عمر الممتوني (ت. 480 هـ / 1087 م) إلى الصحراء بعد تولية يوسف ابن تاشفين (ت. 499 هـ / 1106 م) وتحول المرابطين من البادية والصحراء إلى المدن في الشمال المغربي، وجلب معه من اغمات أربعة فقهاء هم أبو بكر محمد بن الحسن

الحضرمي، وابراهيم الأموي، وعبد الرحمن بن أبي بكر الركاز، وعبد الله جد الزينبيين²⁴ قاموا بتأسيس عدد من الأربطة و المدارس البدوية لتعليم البدو ودعوتهم إلى الإسلام، وهو ما يمكن اعتباره الظهور الفعلي للمؤسسات الحضرية التي ميزت التاريخ الموريتاني عبر القرون²⁵، ومما يدعم هذا التوجه أي ربط المحاضر بالأربطة والمدارس التي تعود إلى الدولة المرابطية هو اختيارهم للبوادي والصحاري مكانا لها، وطرق اجتماع الناس في المحضرة وطريقة عيشهم ولقب أستاذهم الذي احتفظ بلقب مرابط إلى يومنا هذا بدل لقب الأستاذ أو المعلم.

ولم يلبث هذا النظام التعليمي الصحراوي أن عم في المدن الصحراوية التي كانت تقع تحت سيطرة المرابطين، وباتت مدن ولاته وأودغست وأوزكي وتيشيت وودان وشنقيط، و تينكي²⁶ المراكز الكبرى للمحاضر²⁷، يتحدث البكري عن مدينة أودغست باعتبارها مدينة ضخمة و كبيرة أهلة بها جامع ومساجد عديدة أهلة في جميعها بالمعلمين للقرآن²⁸. كما يشير أحمد بن طوير الجنة إن أن مدينة وادان تأسست أساسا لتكون مركزاً من مراكز العلم، ويشير إلى أن بها أربعين داراً متتالية في كل منها عالم ضليع²⁹. وقد لفتت هذا الظاهرة أنظار الرحالة ابن بطوطة حين مر على مدينة ولاته سنة 753 هـ/ 1352 م وشاهد كثرة مدارس العلم فيها وكثرة طلبة العلم³⁰.

وقد كان أغلب تلك المدن المشار إليها عبارة عن واحات كبيرة ومحطات تجارية اضطلعت، بالإضافة إلى أدوارها الثقافية، بأدوار تجارية مهمة؛ لعبت دورا مهما في مسالك التجارة الصحراوية. وقد عرفت هذه الحواضر الصحراوية فترات ازدهار اقتصادي من المؤكد أن له صلة بالنهضة العلمية الأدبية بها، إذ لا بد لكل ثقافة محلية من فائض اقتصادي ينتج عنها كما يرى بروديل³¹ (Braudel).

إلا أن مرحلة التمدن في هذا النظام التعليمي لم تدم طويلا، حيث بدأت المحاضر في القرن العاشر الهجري تنتقل إلى البادية مجددا بسبب غياب السلطة المركزية وانقطاع خطوط تجارة الصحراء بسبب الاكتشافات الأوروبية³²، وبسبب سيطرة الأتراك على شمال إفريقيا ودمار مدينة سجلماسة في القرن 15 م مما صعب من الوضع الاقتصادي للمدن الشنقيطية³³، هو الأمر الذي دفع إلى نزوح المحاضر إلى البادية بعد كساد الحياة في الحواضر. ليشهد بذلك تاريخ هذا النظام التعليمي عودة جديدة إلى البادية بعد أن استقر قرونا في المدن والحواضر.

ت. التعريف والتسمية

تتعدد التفسيرات اللغوية لأصل مصطلح المحضرة أو المحظرة واشتقاقها اللغوي، ولعل أهمها أنها مشتقة من فعل حظر، أي منع. وترمز إلى المحظرة التي عادة ما كانت تحيط بخيمة شيخ ومعلم المحظرة وعرائش ومساكن طلبته لحمايتها من الحيوانات وغيرها. وتقام هذه الحظائر عادة حال حلول المخيم بأي موطن جديد يتم النزول فيه³⁴. كما يمكن العودة بأصل الكلمة إلى معنى بالحظر الذي يفرضه الشيخ على الطالب المنتسب لمحضرته بمنعه من التجوال داخل الحي والاختلاط بأهله والانغماس في حياتهم اليومية وشؤونها وإلزامه بالإقامة في خيم الطلبة والتفرغ للعلم؛ كما يمكن رد الكلمة لما هو متأ من الهيبة والحماية الروحية التي يتمتع بها شيخ المحظرة ومؤسسته التعليمية وحتى طلابه³⁵. وتقضي هذه الحماية حظر ارتكاب المخالفات في حرم المحظرة وحماية من لجأ إليها حتى يكون في مأمن من النهب والسرقة وغيرهما من الممارسات التي كانت شائعة في المنطقة إبان القرون الماضية³⁶، وما يرجح الرأي الأخير هو غلبة هذا التفسير في قواميس اللغة العربية للفظ حظر³⁷. كما أن طبيعة الحياة البدوية التي يغلب فيها السلب وانعدام

الأمن والنظام يدعم هذا الرأي. حيث كانت المحظرة منذ نشأتها ملجأ آمناً للخائفين وملأها المستضعف من غارات النهابين وقطاع الطرق.

بينما تعرف المحظرة اصطلاحياً بكونها مؤسسة ذات وظائف متعددة ثقافية وتربوية واجتماعية يشرف عليها عالم يتعهد طلابها علمياً وروحياً ومادياً احتساباً منه لوجه الله تعالى³⁸، ويقدم النحوي تعريفاً موجزاً لها بقوله "أنها جامعة شعبية بدوية مستقلة تلقينية مجانية التعليم وطوعية الممارسة"³⁹، وهي تقوم أساساً على وجود شيخ واحد يتجمع حوله جملة من الطلبة ويتولاهم هو بالتدريس والعناية الاجتماعية إلى حين تحصيلهم كافة العلوم التي يتقنها. وتمتد مهام الشيخ لتشمل إضافة إلى التدريس؛ الإمامة؛ التربية الروحية؛ القضاء بين الطلبة والبدو القرييين من مكان المحظرة؛ والإفتاء لهم، كما اضطلع بعض المشايخ بمهام سياسية كمستشارين لدى بعض أمراء الدول التي ظهرت في المنطقة، ووسطاء في النزاعات والحروب القبلية، كما وتولى بعضهم مهام عسكرية ضد النفوذ الفرنسي في المنطقة⁴⁰.

وتستمر المحظرة زمنياً ما دام الشيخ حياً، لذا يقدر عمرها بفترة قدرة الشيخ على العطاء والتدريس وهي ما بين أربعين إلى ستين سنة. وعند وفاته تتفرع عنها محاضر أخرى لتلاميذه، وتبقى المحظرة الأم ليرثها أحد أبناء الشيخ المؤسس، بعد تحويل اسمها إلى الشيخ الجديد، على أن الشيخ لا يتقاعد إلى أن يمرض مرضاً يحول دونه ودون مواصلة التدريس⁴¹.

ث. خصائص المحظرة

يمكن أن نوجز خصائص نظام المحظرة التعليمي بناءً على التعريف الموجز للنحوي الذي أورده سابقاً فهي: جامعة شعبية بدوية مستقلة تلقينية مجانية التعليم وطوعية الممارسة. ونورد هنا معاني ذلك:

- 1- **جامعة:** تعتبر المحظرة مرحلة تعليمية متقدمة، حيث يلتحق بها الطلبة المؤهلون فقط والذين تلقوا تعليماً مسبقاً، وحصلوا نسباً معينة من العلوم، ويدرس في المحظرة القرآن، والحديث، والعقيدة، والتصوف، والفقه، وأصوله، والسيرة، والتاريخ، واللغة، والادب، والنحو، والشعر، والبلاغة والمنطق، وأسرار الحروف والحساب⁴².
- 2- **شعبية:** لا تتبع للحكومة أو أي هيئة وتستقبل كل من يرد عليها من جميع المستويات ولا يرد أحد لنقص مقاعد الدراسة، كما لا تغلق لعدم وجود عدد كافٍ من الطلبة، ولا يوجد فيها سجلات للطلبة الذين يصل عددهم أحياناً إلى 400 طالب⁴³.
- 3- **بدوية متنقلة:** عادة تقام المحاضر في البوادي، ويمارس التدريس في الخيمة فليس هناك أي قاعات للدراسة في المحظرة سوى خيمة تصنعها النساء من القش والقماش، أو عريش يقيمه الطلاب من الثمام الموجود في المنطقة وشجر الطلح. وتنقل المحظرة من مكان إلى آخر حسب الأمطار حين تنتقل بين الصيف والشتاء بين أماكن مختلفة بحثاً من مراعي للقطيع الذي تعتمد عليه في إطعام الطلبة المغتربين⁴⁴.
- 4- **تلقينية:** تعتمد الطريقة التقليدية في المدارس الإسلامية التي تقوم على التلقين مباشرة من الشيخ وتلقي العلم عنه مباشرة لذلك تعتمد المحظرة نظام الحفظ و الإجازة في قراءة الكتب⁴⁵

5- المجانية: فالانتساب إلى المحاضرة لا يتطلب رسوماً. إذ إنها تعتمد في تسير أمورها المالية على الأنظمة الاجتماعية ابتكرها (التأيد، والختم، وشاة التلاميذ) مجسدة شكلاً من مراتب التكافل الاجتماعي⁴⁶.

6- الطوعية: تقوم المحاضرة على أساس التطوع والمبادرة الحرة في الدراسة والتدريس معاً، حيث لا يتلقى الشيخ أي مقابل مادي على جهده. أما من جهة الطالب فتتمثل في حرية الطالب في اختيار اختيار المحاضرة التي سينتسب إليها، والشيخ الذي سيدرس عنده، والمادة والمتون التي يرغب الطالب في دراستهما، والفترة الزمنية الكافية لدراسته، كما له الحرية المطلقة في الغياب والحضور، كما له الحرية المطلقة في ترك المحاضرة في أي وقت، فالرقابة ذاتية من الطالب لنفسه، وهي أساساً تقوم على مبدأ التحفيز الذاتي الذي يدفع الطالب إلى التغرب في البوادي لطلب العلم.⁴⁷ كما يجوز للطالب أن يلتحق بالمحاضرة ولو في سن الكهولة وتلعب هذه الحرية أهمية خاصة في تحقيق الذات، مما يجعل الطلاب يتعاطفون وجدائياً مع محيطهم الحضري.⁴⁸

ج. أنواع المحاضر

تقسم المحاضر عادة في موريتانيا إلى ثلاث أقسام وهي:

- 1- المحاضر الجامعة: وهي التي تجمع بين تدريس علوم الآلة وعلوم الغاية معاً من تفسير وحديث و تجويد ونحو وبلاغة وحساب وأصول ومنطق، إلخ، ولا ينتصب للتدريس في هذه المحاضر إلا شيخ متبحر متمكن في جميع العلوم الشرعية والأدبية واللغوية وبإمكانه تدريس كل هذه الصنوف المعرفية⁴⁹، ويقل عددها مقارنة بالمحاضر الأخرى نظراً لقلّة الشيوخ الذين يمكنهم القيام بتدريس كل فروع

المعرفة بمفردهم. ويصل عدد هذا النوع من المحاضرات حسب إحصاء

أجري سنة 1995 إلى 151 محاضرة، ويدرس فيها ما مجموعه

11130 طالب⁵⁰.

2- المحاضرات المتخصصة: وتختص بتدريس عدد محدد من العلوم مثل

علوم القرآن والعقيدة والفقه. فشيخها مقتدر على تدريس علوم

الغاية (اللغة النحو، أصول الفقه، المنطق) دون سواها. ويصل عدد

هذا النوع من المحاضرات حسب إحصاء 1995 إلى 246 محاضرة،

ويدرس فيها ما مجموعه 23781 طالب⁵¹

3- المحاضرات القرآنية: وهي المدارس القرآنية التي تدرس الكتابة وتحفظ

القرآن الكريم، ولا يمكن عدّ هذه المدارس من جملة الخصوصية

الموريتانية لكونها منتشرة في ربوع العالم الإسلامي دون استثناء.⁵²

ويصل عدد هذا النوع من المحاضرات حسب إحصاء 1995 إلى

1331 محاضرة، ويدرس فيها ما مجموعه 54009 طالب⁵³

ح. النظام التدريسي في المحاضرة:

1- نظام الالتحاق وشروطه

عادة ما يسمح للطلاب بالانضمام إلى المحاضرة في سن ما بين 12 والخامسة

عشر، بعد أن يكون قد أتقن الكتابة والقراءة وأكمل حفظ القرآن الكريم،

وبعض المتون التعليمية، على يد إحدى قريباته سواء كانت أمه أو خالته أو عمته

أو جدته و أحيانا توجد في الحي من تتفرغ لهذه المهمة⁵⁴، ويبدأ بكتابة الحروف

في لوح خصص لهذا الغرض. بعده ينتقل التلميذ إلى المحاضرة، ويوصى به إلى شيخ

الفريك يعني الحي وقد بات قادرا على التغرب والبعد عن الأهل⁵⁵. وهي بذلك

تختلف عن نظام الكتاب الذي يسود في باقي مناطق العالم الإسلامي، حيث لا

يلتحق بها الطالب إلا وقد حفظ كامل القرآن الكريم أو أجزاء منه ويلتحق ليتعلم فيها بقية أنواع العلوم كالفقه والعقيدة وعلوم اللغة العربية والتفسير وعلوم الحساب والتاريخ وغيرها. ويشترك في الانضمام إلى هذا النظام التعليمي الذكر والانثى حيث تخصص محاضر للنساء يدرسن فيها مساء طوال السنة، وتتلقى النساء العلم في سرادق المحضرة من وراء حجاب عن شيخ ترافقه إحدى محارمه لتتولى طرح الأسئلة عليه بالنيابة عنهن. أما إذا كانت المدرسة امرأة فإنها تجعل بينها وبين طلابها ستارًا يحجبها عنهم⁵⁶.

2- طريقة التدريس ومراحل الدرس

يقوم النظام التدريس المحظري على مبدئين وهما:

- **مركزية الشيخ:** حيث يقوم بالتدريس في المحضرة شيخ واحد، وتنسب المحضرة إليه أو إلى عائلته، وأحياناً يجتمع جملة من الشيوخ على التدريس في المحضرة الواحدة، وعادة ما يقوم الشيخ بتعيين بعض الطلبة المتفوقين كمساعدين له، يخصصهم ببعض الطلبة، بينما يتولى هو مهمة تدريس البعض الآخر، وهو نظام أقرب إلى نظام المعيدين في النظام الحديث، وهي آلية فرضها العدد الكبير للطلبة في بعض المحاضر، إذا لا يمكن للشيخ وحده أن يقدم 200 أو 300 درس في اليوم. وأحياناً يتولى المعيدون مهمة تكرير الدروس ومراجعتها⁵⁷.

- **التعليم الفردي،** ويعني أن لكل طالب في المحضرة درس خاص به حسب مستواه وحسب اختياره، وليس مقيداً بالانضمام إلى فصل، حيث ينדר تشكيل مجموعات للدراسة سوية⁵⁸.

وبخصوص العملية التدريسية اليومية فقد انعكست عليها بساطة الحياة البدوية ووضوح، حيث لم تعرف دروس المحاضرة أسلوبًا تعليميًا ثابتًا. فهو يبدأ بعدما يجلس الشيخ في الضحى بعد الفطور وبعد الانتهاء من ترتيب شؤون الماشية ورعيها، ويتحلق حوله الطلاب، ثم يستمع لقطعة دراسية (نص) كتبه احدى الطلبة وحفظه مسبقًا، ثم يبدأ الشيخ في شرح هذا المقطع فقرة بعد فقرة. وينقل الطلبة الشواهد و الأفكار المهمة في أوراق خاصة معدة لذلك تسمى في الإصطلاح المحضري بـ(الكناش). و يفسح المجال لطالب آخر بعد أن ينتهي الطالب الأول من قراءة مقطعه. وهكذا إلى أن ينتهي الدرس اليومي بدوران الحلقة على كل الطلبة أعضاء الحلقة التي اشتركت في مرجع دراسي واحد يسمى في إصطلاح المحظريين (الدولة)⁵⁹. ويستخدم الشيخ في كافة دروسه العديد من وسائل الإيضاح المجسمة المتوفرة في البيئة المحيطة، ومنها الكتابة والرسم على الرمل.

وحين لا يشترك الطلاب في مرجع واحد (الدولة) فيبدأ الدرس معهم بكتابة الطالب لنصه الدراسي على اللوح الخشبي الذي لا يفارقه، ثم يصححه بعد استماع الشيخ إلى قراءته الأولى (قبل شرح الشيخ). وقد يتدخل بعض الطلاب للتصحيح لبعضهم البعض إذا كانت المحاضرة تحوي عددًا معتبراً من الطلاب ذوي المستويات المتفاوتة. ويتسع اللوح الخشبي عادة لأربعة دروس يراجعها الطالب حتى إذا أتقنها حفظاً غسل أقدامها بالماء والطين في مكان معد لذلك⁶⁰. وعند انقضاء الفترة الصباحية تتوقف الدراسة وقت الغداء لقليلة قصيرة ثم تستأنف حين غروب الشمس⁶¹.

3- مبدأ التعليم:

طور الفكر الحضري البدوي نظاما تدريسيا يقوم على الذاكرة بشكل أساس، نظرا للطبيعة الصحراوية التي تغلب فيها الثقافة الشفوية، ويعتمد الناس فيها على الذاكرة والحفظ، لذا كان حفظ الدرس اليومي حفظا كاملا من أهم خصائص التدريس المحظري، وقد ضرب الشناقطة نماذج غريبة في الحفظ مثل الشيخ عبدالله بن عتيق اليعقوبي الذي كان يحفظ لسان العرب لابن منظور (9 أجزاء بما يزيد على 8000 صفحة) كاملاً ظهراً على قلب، و يروي عن الشيخ سيد المختار بن الشيخ سيد محمد (ت: 1397هـ) أنه كان يحفظ على ظهر قلب بعضاً من أمهات الكتب كفتح الباري (12 مجلدا)⁶²، وجملة أخرى من الكتب. ولترسيخ هذه الملكة طور طلاب المحاضر الشناقطة وسائل وطرق لتعزيز ملكة الحفظ للتجاوب مع نظام الدراسة منها:

- **تقسيم المتن إلى أجزاء:** ويعرف بلغة المحظرة بـ(الأقفاف) والمشهور في المحاضر أن متوسط الدرس أو (القف) المتن المنظوم خمسة أبيات فقط لا يزيد عليها إلا الطلبة المتفوقون الأذكياء. وأما المتن الثرية فيجزئها الطلبة وفق تقسيم شائع بينهم. ولا تخفى غاية وفائدة هذا التقسيم للمتن المراد مراجعته وحفظه، فمنه يعرف الطلبة مواضع الصعوبة والسهولة فيحتاجون في المراجعة والتكرار⁶³.

- **استيفاء وحدة المتن:** وهو أن يشتغل الطالب بدراسة متن واحد فقط، يستجمع تركيزه ووقته لحفظه ولا يخلط معه غيره، ولا ينتقل منه إلى غيره حتى ينهيه ويستوفي دراسته كله. نظرا لكون الجمع بين متنين معاً يحد من قدرة الطالب على الاستيعاب، فيظل جهده الذهني موزعاً بين عدة متون لا يكاد يتقن واحداً منها⁶⁴.

- صياغة المتن المنشور نظماً: للشناقطة ملكة شعرية مرهفة وقد استغلوها كثيراً في تيسير العلوم للحفظ، وضمان قبول النفس لها والتصاقها في الذاكرة، وقد غلبت الصبغة النظامية على الدرس المحضري في الكثير من المواد العلمية⁶⁵.

- التركيز على التكرار: يركز الطلبة على الحفظ والاسترجاع والمراجعة المستمرة للنص المحفوظ، ويبلغ مقدار عدد تكرار الطالب المتوسط للقدر المراد حفظه من مئة إلى ألف مرة في اليوم، ويسميه طلبة المحاضر بـ(أقباد)، حيث يجلس طالب العلم يعيد و يكرر ما خط في لوحه بصوت مرتفع في الصباح، ثم يعود إليه بعد الظهر ومرة أخرى بعد المغرب. وفي اليوم اللاحق يبدأ يومه بالتسميع للشيخ. وهكذا يفعل قبل كل بداية درس جديد. وفي نهاية الأسبوع يراجع الطالب كل ما حفظه من أول الأسبوع وهكذا حتى ينتهي من المتن كله⁶⁶.

- حفظ النص قبل جلوس الشيخ لشرحه: وهذه من أهم الطرق التي تعين على متابعة الحفظ دون انقطاع أو تعثر وتأخر.

- عقد مجالس للمذاكرة والأحاجي والألغاز والإنشاد، وتتم في عطلة نهاية الأسبوع، فيعقد طلاب (الدولة) أو المنتهون مجالس السهرة والسمر في ليلة الخميس أو الجمعة، يناقشون ويتذكرون فيها ما درس خلال الأسبوع ويتبارون في تجويد إتقانه وحفظه، أو يحددون باباً أو فصلاً من كتاب يحتاجون فيه.

- اغتنام لحظات السحر في حفظ النصوص: يستغل الطلبة هذا الوقت المبارك للحفظ فلا تكاد تجد طالباً من المنخرطين في الحضرة نائماً وقت السحر.

4- المقررات الدراسية

كما اشرنا سابقاً، يعتمد التعليم المحظري على المتون العلمية كمادة دراسية، نظراً لعدة عوامل منها سهولة حفظ المتون وتحصيل ما فيها من علوم على خلاف التعامل مع الكتب التي قد تطول لتصل لعدة أجزاء. وتعتمد في موريتانيا متون الفقه المالكي فقط في الفقه، والعقيدة الأشعرية في العقيدة، ومتون اللغة العربية والمنطق المشهورة في العالم الإسلامي⁶⁷، وهي مقررات تأسيسية تسعى إلى إحداث التكامل المعرفي لدى طالب المحاضرة في العلوم الشرعية واللغوية. ويتم تقسيم مجموعة المقررات الدراسية على ثلاث مراحل عمرية، هي:

- **المرحلة الأولى:** وتتم قبل دخول الطفل إلى المحظرة وهو ما بين السنة الخامسة من عمره والسنة العاشرة، ويعرف بالمبتدئ، وهي مرحلة تحفيظ القرآن الكريم، وبعد حفظ القرآن يدرس الطالب علوم القرآن، عن طريق تعليمه جملة من المتون الميسرة والبسيطة التي تناسب قدراته العقلية، منها: (الدرر اللوامع على مقرأ الإمام نافع) لعلي بن بري، ويدرس في الفقه (مختصر الأخصري)، و(المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) لإمام ابن عاشر. وفي النحو (عبيد ربه الشنقيطي)، و(ملحة الإعراب). وفي السيرة يدرس الطالب (قرة الأبصار لعبدالعزیز اللمطي) و(الهمزية) للبوصيري⁶⁸.

- **المرحلة الثانية:** ومدتها ست سنوات، وهي مرحلة البداية الرسمية للحياة المحظرية، ويعرف الطالب في هذه المرحلة بـ(ولد الزوايا). وهي توازي المستوى الثانوي في التعليم النظامي. وفيها يدرس طالب المحاضرة في التجويد والقراءات (الشاطبية على القراءات السبع)، و(مقدمة ابن الجزري). وفي تخصص الفقه (رسالة ابن أبي زيد القيرواني)، و(مختصر

خليل)، وفي النحو (ألفية ابن مالك). وفي الصرف (لامية الأفعال). وفي اللغة (المقصور والممدود) و(ديوان غيلان)، وفي العقيدة (إضاءة الدجنة)، و(وسية المختار بن بون). وفي السيرة (الغزوات)⁶⁹.

- المرحلة الثالثة: وتبدأ عندما يصل الطالب الثامنة عشرة من عمره ولا تنتهي حتى يقرر الطالب التوقف عن الدراسة بنفسه، ويعرف صاحب هذه المرحلة ب(المنتهي). وهي توازي المستوى الجامعي في التعليم النظامي. يدرس الطالب فيها كتب التفسير الموسوعية مثل: (تفسير الطبري) و(تفسير ابن كثير). وفي مصطلح الحديث يدرس (ألفية العراقي) و(طلعة الأنوار) لسيد عبد الله بن الحاج إبراهيم. وفي الحديث يدرس (موطأ الإمام مالك)، و(الصحيح الستة). وفي الفقه يدرس (شرح الخطاب لمختصر خليل). وفي الأصول يدرس (مراقي السعود)، و(ورقات إمام الحرمين)، و(جمع الجوامع) لابن السبكي. وفي العقيدة مؤلفات السنوسي الكبيرة. وفي المنطق (السلم) للأخضري. وفي البلاغة (عقود الجمان) للأخضري، و(ألفية السيوطي). وفي اللغة (مقامات الحريري) و(القاموس المحيط)، و(الكامل) للمبرد. أما العروض والقافية فيدرس (الخرجية)⁷⁰. يبقى أن نشير إلى أن توزيع المقررات على النحو السابق معتمد عرفياً بين رواد المحاضر من الأساتذة والطلاب، لكنه ليس مدوناً متناقلاً أو ملزماً لجميع المحاضر.

5- نظام العطل:

نظراً للطبيعة البدوية والشعبية للمحاضرة لم تحدد رزنامة العطل بشكل محدد، لذا تختلف العطل من محاضرة إلى أخرى، إلا أن عموم المحاضر يتعارف على أن عطلة الأسبوع تبدأ من مساء الأربعاء إلى ظهر الجمعة، و تمنح معظم المحاضر الطلاب

مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية
مجلة دورية دولية محكمة
عطلة من خمسة أيام قبل الأعياد والمناسبات الدينية وخمسة أيام بعدها ويسمونه
"خروج"، مع ضمان حرية الطالب في العودة للمحظرة، نظرا لكونه غير مرتبط
بفصل دراسي، يلزمه اللحاق به⁷¹.

6- التخرج

تعتمد المحظرة نظام التقويم المستمر، بشكل يتوافق مع بيئة المحظرة ونظامها
البدوي والنظام شبه العائلي الذي يعيش فيه الطلبة. وهو على نوعين:

1- **التقويم التكويني**: وهو التقويم المستمر السائد في المحظرة، ومن أشكاله:

- **التقويم الذاتي الزمري**: وهو ظاهرة تنفرد بها المحاضر، وتأخذ شكل أحاجي
وألغاز ومساحلات وتمرينات يختبر بها الطلاب بعضهم بعضا، ويشارك الشيخ
عادة في هذه الجلسات لرصد مستويات الطلبة.

- **اختبار القافلة**: وهو أن يتعرض الطلاب للقوافل، أو العلماء والشيخ الذين
يزورون المحظرة، ويطلبوا من علمائها اختبار مستوياتهم العلمية، فيمتحنهم هؤلاء
مع تقديم بعض التوجيهات والنصائح.

2- **التقويم النهائي**: وهو لا يتخذ شكل امتحان أو اختبار، وإنما يني الشيخ
تقويمه النهائي للطالب على أدائه في سلسلة التقويمات التكوينية التي خاضها في
أثناء دراسته، ويكفل الشيخ قراره بمنح الإجازة بناءً على هذا التقويم⁷². والإجازة
نوعان:

- إجازة مقيدة: وتختص بعلم واحد كالفقه، أو النحو، أو الحديث. ويلزم فيها
إثبات سلسلة رجال السند الذي أخذ عنهم.

- إجازة مطلقة: ولا تمنح إلا لأفراد قليلين من الناهجين الذين استكملوا جميع العلوم المدروسة في المحاضرة، وأخذوا كل ما عند الشيخ، وعادة ما يؤسس هؤلاء محاضر جديدة في أحيائهم⁷³.

خ- النظام الاجتماعي داخل المحاضرة

تعتمد المحاضر في مواردها على ما يملكه الشيخ من أبقار ونوق⁷⁴، ويحرص الشيوخ أن يكفلوا حاجة طلبتهم الغذائية وقد لاحظ لأكروا أن أحد شيوخ المحاضر وهو أحمد يزيد بن حياي كان يعول 100 طالب على حسابه في محضرته⁷⁵. لكن عدد زيادة عدد الطلبة يصبح على كل طالب جديد أن يجلب معه بقرة أو بدنة ليساهم بها في قوت المحاضرة⁷⁶، ويدخل في هذا النفع المعيشي كثير من الطلاب الذين يسمون ب(المؤبدين)، وهم الطلبة الفقراء الذين لا يملكون ما يقدمونه لضمان معيشتهم طوال مدة الدراسة.

وقد انعكست البادية على اختار شيوخ المحاضر البقر بدلا من الإبل كمنحة من الطالب لدخوله المحاضرة لأسباب تتعلق بسهولة التعامل معها في حالة ابتعادها عن مكان المحاضرة في البادية على خلاف الإبل التي يصعب تقصيرها، وقد كتب الكثيرون شعرا في المفاضلة بينهما. كما أن حلب البقر لا يحتاج إلى جهد أم الإبل على العكس⁷⁷، وكطريقة لتكريس التعاون والتكافل بين طلاب المحاضرة يتناوب طلاب المحاضرة على رعي بقر و إبل المحاضرة، فيخرج أحدهم للرعي مصطحبًا معه كتابه (أو لوحه) و يظل يقرؤه، ثم يخرج بعده طالب غيره، وهكذا حتى يدور الرعي عليهم جميعًا. وعادة ما ينقسم الطلبة في المحاضرة في شؤون الرزق إلى مجموعات صغيرة تسمى راحلة، تضم أربع افراد يقتسمون مالهم سواسية ويأكلون سواسية، وقد ينضم إليهم طالب مؤبد. وفي حالة ازدياد عدد المؤبدين

وعجز المحضرة على إعالتهم يتكفل سكان أقرب قرية أو حي للمحضرة بإعالة المؤبدن يومياً⁷⁸.

وقد ولدت البيئة الصحراوية القاسية وظروفها الصعبة تكافلاً اجتماعياً بين أفراد المجتمع الشنقيطي وطلاب المحضرة تجلى في هبات واستحقاقات مادية، منها⁷⁹:

- شاة العادة: وهي شاة تقدم لطلاب المحضرة عند كل زواج قريب من مكان المحضرة تسمى (شاة العادة).
- منح ظهر عن كل ذبيحة في الحي
- تقديم عنق كل ذبيحة من الإبل
- مد عن كل ما تفد به قوافل الحي.
- الغدوة: وهي وجبات خاصة يعدها سكان القرية للطلبة إذا اكمل أحدهم دراسة متن من كبريات المتون
- منح ثلث ماء البئر أو ربعه للمحضرة (إن أراد الشيخ أو طلابه).
- هدية من كل زائر للحي لطلبة المحضرة
- مجموعة من الهدايا يمنحها الحي الذي تفد فيه المحضرة لكل طالب محظري يحفظ القرآن.
- (جمع الختمة) ويأخذها الطالب بعد إنجائه حفظ ربع القرآن من كل بيت يمر عليه رافعاً لوحة خشبية مكتوب عليها آيات من القرآن الكريم.
- رسالة التلاميذ: وهي نص رسالة محددة تدعو و تحث سامعيها على التبرع للتكفل بمحاجات المحضرة من الأوراق والأحبار والأقلام وما شاكلها، يتلوها الطلاب على الأسر والعوائل المجاورة للمحضرة التي

تتبرع لسد تلك الحاجات. كما تتكفل نساء الحي بخياطة وترقيع لباس الطلبة

- إذا تأخرت عودة بقر المحضرة ليلا يؤذن احد الطلبة آذان خاص
فترسل كل الأسر ما يمكنها من حليب⁸⁰.

المحاضر وهوية موريتانيا المعاصرة:

عبر تاريخها الطويل لعبت المحظرة دورا جوهريا بل وأساسيا في تشكيل هوية المجتمع الموريتاني والحفاظ على البنى الثقافية فيه، وأصوله الإسلامية العربية، ففي الفترة الاستعمارية أثبتت المحظرة أمام السياسات الفرنسية أنها مؤسسة تعليمية لا يمكن هزيمتها، فالرغم من مجموعة القوانين والتنظيمات الفرنسية التي أرادت محاصرة وتنظيم المحضرة وإدخالها تحت الرقابة والرعاية الفرنسية⁸¹ إلا أن الفرنسيون أعلنوا في كل مرة في تقاريرهم الإدارية والسياسية⁸² فشل محاولاتهم في فرض سيطرتهم الثقافية على موريتانيا مرجعين سبب ذلك للمحظرة، ف André⁸³ و Paul Dubie⁸⁴ وغيرهما تحدثوا عن دور المحضرة في مواجهة التمدد الفرنسي في غرب إفريقيا، ودورها في الحفاظ على الهوية الموريتانية، ويتحدث Lecourtois⁸⁵ عن دور مشايخ المحظرة في الحملة ضد نظام المدارس الفرنسية حيث حرموا انخراط الأطفال الموريتانيين فيها⁸⁵، ولم يقتصر دورها على المواجهة الثقافية، بل امتد إلى المواجهة السياسية، حيث أفشل شيوخ المحاضر سنة 1860 رحلة نقيب الأركان العامة هانري فينصان (Vincent) المبعوث من طرف الجنرال فيدرب (Faidherebe) إلى منطقة أدرار بموريتانيا التي كانت تمهد للتمدد العسكري في المنطقة،⁸⁶ كما افشلوا رحلة الرحالة والمستكشف الفرنسي رني كايب (René Caillé) أثناء تجوله واستكشافه في منطقة البراكنة بالجنوب الموريتاني سنتي 1824 و 1825 م⁸⁷، كما أن حرب

القبائل الموريتانية ضد الفرنسيين سنة 1860 وحرب 1892 كانت بقيادة شيوخ المحاضر⁸⁸.

وقد دفعت المواجهة بين المحاضر والسلطات الفرنسية العديد من شيوخ وخريجي المحاضر للهجرة إلى المشرق العربي، وهو الأمر الذي دفع المشاركة إلى اكتشاف ماتحتويه موريتانيا مع ثراء علمي كبير، يفوق ما عليه الحياة العلمية في عواصم الثقافة في مصر والشام والحجاز. لقد كان لهجرة بعض تلاميذ وخريجي المحاضرة دور بارز في إعادة صياغة المنظومة التعليمية في كبار الجامعات الإسلامية نظرا للتمكن العلمي العميق للشناقطة، يرى طه حسين وزير التعليم المصري ما بين (1950-1952م) أن درس اللغة العربية في الأزهر لم يكن مهماً قبل مجيء الشيخ محمد محمود ولد التلاميذ الشنقيطي (ت: 1904م)⁸⁹. الذي استطاع أن يقدم لدرس اللغة من القوة والهيبة والحضور ما لم يكن معروفاً به قبله، حيث عينه شيخ الأزهر محمد عبده شؤون تنظيم الدرس العربي في الأزهر، وأطلق يده في صياغة المناهج⁹⁰. كما حقق دواوين الشعراء الجاهليين والقاموس المحيط، ووضع فهرست المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريا منتدبا في ذلك من طرف السلطان العثماني على الرغم من انه لم يكن من خريجي جامعات معروفة كالقرويين أو الزيتونة أو الأزهر، وإنما هو خريج محضرة بدوية شنقيطية متوارية في الصحراء⁹¹. كما كان لأحمد بن الأمين العلوي الشنقيطي (ت: 1913م) دور بارز في تقويم مناهج الأزهر في الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى⁹². و من الغريب أن أحد شيوخ المحاضر المهاجرين إلى مصر وهو محمد بن محمود الشنقيطي أعجز كل علماء الأزهر في مناظرته والتصدي له في اللغة والفقه والتوحيد ولم يتصدى له إلى شيخ شنقيطي آخر وهو مواطنه محمد الأمين الشنقيطي⁹³ ولا يزال خريجوا المحاضر إلى يومنا هذا يبهرون العالم الإسلامي بغزارة علمهم، ودقتهم العلمية

مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية
العجبية، ولعل محمد ولد الددو وابن بية الذي يرأس المعهد الاوروبي للافتاء
لايزالان شاهدان على براعة خريجي المحاضر العلمية مقارنة بغيرهم من خريجي
الجامعات في العالم الإسلامي.

د- واقع المحاضر وتحدي البقاء

على الرغم من صمود المحاضرة في الحقبة الاستعمارية إلا أنها لم تحافظ على برقيها
في فترة ما بعد الاستقلال، حيث اقترح التعليم الرسمي النظامي الحياة العلمية في
موريتانيا، وبات يشكل خطرا وجوديا على المحاضرة، وذلك لثلاث أسباب هي:

- **الاستقلال:** أصلح الاستقلال بين أجهزة الدولة والمواطنين، وبين
المدرسة الرسمية والمواطن الموريتاني الذي كان يقاطع المدرسة الفرنسية
لكونها مدرسة فرنسية تمثل ثقافة المستعمر، فبعد أن زال سبب التخوف
منها بعد خروج الفرنسيين وقيام الدولة الوطنية⁹⁴، بدأ التعليم الرسمي
يفرض نفسه على شرائح واسعة من الشريحة الاجتماعية الخاصة عادة
بالمحاضرة مبعداً لأعداد متزايدة من الطلاب عن ارتياد هذه المؤسسة
فبعد أن كان عدد طلبة المحاضر يمثلون أكثر من 80% من الأطفال في
سن الدراسة في المجتمع الموريتاني ما قبل الاستقلال، بات يمثل أقل من
20% من عدد الطلبة المتعلمين الآن. وبينما كان خريجو المحاضر
يمثلون -حسب أول إحصاء بعد الاستقلال وهو إحصاء سنة 1977
- 97% من المعلمين في المدارس الموريتانية⁹⁵، بات الأمر مختلفا تماما
الآن حيث لا يساهم خريجو المحاضر إلا بنسبة 17% في سلك
التعليم. وكانت النسبة مقارنة تماما لموظفي قطاع الإعلام والقضاء
والإدارة العامة والجيش الذي استوعب كما كبيرا من خريجي المحاضر

بعد الاستقلال الذي كان شبه حكر عليهم⁹⁶. وبعد ظهور الجيل الجديد من خريجي النظام التعليمي الحديث وُضع خريجو المحاضر أمام معضلة عدم اعتراف أجهزة الدولة بهم، نظرا لعدم حصولهم على شهادات رسمية مقارنة بغيرهم من المثقفين⁹⁷. وهو ما دفع الدولة الموريتانية بعد تأخر كبير للسعي لحل هذا التحدي، لذلك أسست سنة 1978م بدعم من المملكة العربية السعودية "المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية" محاولة استيعاب خريجي المحاضر، حيث يمنحهم المعهد بعد اتمام أربع سنوات من الدراسة شهادات تعادل الشهادة الجامعية. و تتيح لحاملها دخول سلك التعليم و القضاء والحاماة والعديد من الوظائف الأخرى من جديد. كما أنشئت الدولة إدارة خاصة تشرف على المحاضر والتعليم الأصلي تتبع لوزارة الشؤون الإسلامية وتتولى الربط بين الدولة والمؤسسات المخترية وتقدم دعم مالي سنوي لها⁹⁸، ولكن هذا الدعم ونظرا لفقر الدولة لم يكن بالقدر الكافي فالذي يحصل عليه شيخ المخطرة من الدولة الموريتانية لا يتجاوز 3000 أوقية أي أقل من 15 دولارا للسنة، وهو مبلغ لا يساوى لا يكفي لشئ، وقد وصلت تلك المساعدات المالية إلى 15000 أوقية وهو ما يزيد على 50 دولارا، أما عن المحاضر المركزية مثل مخطرة أول مفتي موريتانيا الشيخ بداه ولد البوصيري فتحصل على مبلغ 150 ألف أوقية 600 دولار سنوياً، وهو مبالغ دعم ضعيفة جدا إذا ما قورنت بالمبالغ التي تصرف على المدارس الرسمية⁹⁹. إضافة إلى تحبط سياسات الدولة اتجاه المحاضر يبرز عجز الدولة حتى على مستوى ضبط أعداد المحاضر، نظرا لغياب هيئات ذات كفاءة لاجراء احصاءات رسمية لأعداد المحاضر وتوزعها الجغرافي، وذلك نتيجة ضعف بنية الدولة

الموريتانية وغياب الكثير من المؤسسات فيها، وعزلتها عن العالم¹⁰⁰، وتطرح إشكالية نقص الاحصاءات وتناقضها¹⁰¹ وجودها أمام أي باحث في الموضوع، حيث تشير احصاءات وزارة الشؤون الإسلامية حسب تصريحات وزير الشؤون الدينية إلى وجود 6718 محظرة في كافة ربوع البلاد بمجموع 163912 طالبا.¹⁰²، بينما يشير إحصاء أجري سنة 1995 إلى وجود 1728 بمجموع طلبة 88920 طالبا مقسمين على الأنواع الثلاث للمحاضر¹⁰³.

- **الجفاف:** يعتبر الجفاف من أهم عوامل تراجع دور المحظرة في المجتمع الموريتاني، فقد قوض الجفاف أركان الحياة البدوية التي كانت تعيش فيها المحظرة، حيث أصاب موريتانيا لفترة طويلة امتدت من نهاية السبعينات والثمانينات إلى التسعينات واثرت كثيرا في استقرار البدو وعلى الاقتصاد الريفي والمواشي في الصحراء، ودفعتهم ظاهرة التصحر الناتجة عنه إلى الاستقرار في المدن تأمينا لحياتهم¹⁰⁴، ومن مظاهر ذلك تقلص المراعي وقطعان البقر التي يعتمد عليها البدو وتعتمد عليها المحاضر في تأمين قوت طلبتها ففي سنة 1969م كان عدد الأبقار في موريتانيا قرابة 2400000 رأس، وبعد ستة سنوات فقط انخفض العدد إلى النصف تماما 1200000م واستمر في الانخفاض لينزل إلى 1120000 سنة 1996 تحت نصف المليون في بداية هذه الالفية.¹⁰⁵ وفقدت بذلك المحظرة جزءا كبيرا من مواردها ومن مجالها الحيوي.

- **التحول الديمغرافي من مجتمع بدوي إلى مجتمع حضري:** دفع الجفاف وظهور الدولة الوطنية المجتمع الموريتاني البدوي إلى الاتجاه نحو

الحضر والمدن الكبرى، كنتيجة للاقفار الذي ضرب الصحراء التي كانت الموطن الأول للمحاضر، وشهد المجتمع الموريتاني تحولا دراماتيكيًا سريعًا في بنيتها، حيث انخفضت نسبة البدو الرحل بعد خمس سنوات من الاستقلال من 64% سنة 1965 إلى 32% سنة 1977¹⁰⁶، وتشير الإحصاءات سنة 2011 إلى نسبة 41,5 % كنسبة الحضر في عموم البلاد، بمعدل تحضر سنوي يعادل 2,91%¹⁰⁷. كما نشأت خلال عشرة سنوات فقط 40 قرية جديدة¹⁰⁸، وكدليل على هذا التحول السريع تكفي الإشارة إلى أن العاصمة نواكشوط التي تأسست سنة 1957م تصاعد عدد سكانها بسبب هجرة البدو إليها هربًا من الجفاف¹⁰⁹ من 5807 سنة 1962م ليصبح 590.532 سنة 1988م¹¹⁰، وليفصل إلى 881.000 سنة 2009م¹¹¹. وهو ما يطلعنا على حجم الانحصر الذي ضرب المجال الحيوي للمحاضر وهو البادية والصحراء.

هذا التحول الدراماتيكي في البنية الاجتماعية والثقافية في المجتمع الموريتاني، سارع من عملية التحديث والعصرنة في المجتمع، وبالتالي وضع المحظرة أمام مشكلة وجودية وهي إما مواكبة العصر والتحليل من أهم خصائصها وهي البداوة والبساطة أو الاندثار¹¹². هذا الوضع ولّد جدلاً عميقاً في أوساط العلماء والمثقفين الذين ينتمون إلى المحظرة بين تيار داعي لتطوير وعصرنة المحظرة، ومنقّقد للطرق الكلاسيكية التي يصر عليها شيوخ المحاضر. حيث يدعوا محمد المهدي ولد محمد البشير الذي يعتبر إحدى التحديثيين، إلى وجوب الإسراع في تطوير مناهج وآليات المحظرة لانقاذها من حالة "الاغتراب" التي تعيشها ويعيشها خريجوها بسبب الانقصام بين المعارف التقليدية التي يتلقونها وبين الواقع الذي

يعيشونه، ويرى وجوب تطعيم مناهج المحظرة بالمناهج والعلوم الحديثة وعدم الاكتفاء بتقليد المناهج القديمة التي تجاوزها الزمن، ويضرب لذلك أمثلة عدة منها أن هناك فقرة في القانون الجنائي الموريتاني من وضع فقهاء المحضرة تعاقب على التبرج - وتفرض "الجزية على أهل الذمة"¹¹³. في مقابل هذا التيار التجديدي يقف تيار آخر يرفض أي نوع من أنواع التجديد، ويصر على أن سر تفوق مستوى طلبة المحظرة راجع أساساً لبداوتها وتقليدية مناهجها وأطرها،

ويفتخر أحد دعاة هذا التيار وهو الداه ولد سيداتي - وهو شيخ محضرة بالحوض الغربي - أن المحاضر في موريتانيا لا تزال تحافظ على أسلوبها في التدريس، رغم التكنولوجيا المتاحة وأنهم لم يغيروا حتى الآن سوى طريقة الإضاءة، حيث كانوا قديماً يستخدمون الخشب للإضاءة أما اليوم فالطلاب يستخدمون وسائل أخرى للإضاءة، مضيفاً أنه يرى أنه كانت هناك بركة في الإضاءة التي كانت موجودة آنذاك وفي الوسائل المستخدمة في تلك الحقبة¹¹⁴. ويصر الشيخ باديدي ولد سيد الأمين على أن البركة والفائدة في هذه الطرق التقليدية أكثر من الطرق الحديثة مستدلاً بمستوى العلماء الذين تخرجوا من المحاضر بنظرائهم من العلماء الذين تخرجوا من الجامعات العالمية المشهورة مثل الأزهر والزيتونة¹¹⁵.

وبالرغم من تحدي البقاء الذي تواجهه المحظرة، والاسهامات الكبيرة التي قدمتها لشعب موريتانيا تبقى اشكالية التحديث في الحضرة مصرة على البروز أمام المدافعين عن وجودها، حيث باتت التكنولوجيا الحديثة وثورة الاتصالات والتقنيات تحاصر المحظرة في باديتها من كل مكان، خصوصاً مع قدوم الكثير من الأوروبيين والأمريكين للدراسة في هذه المحاضر التقليدية.

خاتمة

ويفتخر ولد سيداتي أن المحاضر في موريتانيا لا تزال تحافظ على أسلوبها في التدريس، رغم التكنولوجيا المتاحة وأنهم لم يغيروا حتى الآن سوى طريقة الإضاءة، حيث كانوا قديماً يستخدمون الخشب للإضاءة أما اليوم فالطلاب يستخدمون وسائل أخرى للإضاءة، مضيفاً أنه يرى أنه كانت هناك بركة في الإضاءة التي كانت موجودة آنذاك وفي الوسائل المستخدمة في تلك الحقب

ولدت المحظرة في الصحراء وعاشت فيها واستطاعت أن تكيف حياتها ونظمها التدريسية والاجتماعية وفقاً لمقتضيات الحياة البدوية، وبذلك استطاعت أن تحافظ على وجودها منذ أيام المرابطين وعبد الله ابن ياسين إلى غاية اليوم، كما استطاعت أن تميز البنية الفكرية للمجتمع الموريتاني عن غيره من المجتمعات العربية، حيث لازال الموريتانيون إلى اليوم يتفوقون على كافة العرب في مستواهم العالي في علوم اللغة والدين، واشتهروا كنتيجة لذلك ببلد المليون شاعر، وباتت المحظرة على الرغم من فقرها والحياة البدائية التي يعيش فيها طلبتها مقصداً للكثير من الطلبة من العالم الإسلامي والأوروبي على حد سواء، حيث باتت عدد الطلبة القادمون من أمريكا والدول الأوروبية يتزايد يوم بعد يوم، الذين باتوا يهربون من حداثة الحياة الغربية والمناهج التعليمية المتطورة إلى بدو الصحراء وبساطة النظام الحظري. إن صمود المحظرة الطويل بات مهدداً بعد ظهور الدولة الحديثة، والثورة العالمية في التعليم وسبله، حيث بات سؤال الأصالة أو التجديد مطروحا بشدة على المهتمين بهذه المؤسسات التعليمية، ولازال هذا النقاش حاداً في الساحة السياسية والثقافية الموريتانية، وبات يحتل موقعا في برامج العديد من الأحزاب السياسية مثل حزب الإصلاحيون الوسطيون الموريتاني. ولعل الفضل الذي لعبته هذه المؤسسات في تزويد مؤسسات وإدارات دولة موريتانيا حفظ لها مكانا في جدول اهتمامات الدولة التعليمية حيث باتت الحكومة مؤخراً تهتم بتطوير شؤون

مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية
مجلة دورية دولية محكمة
المحاضر والعناية بها، لكن تلك الجهود لازالت دون المأمول منها نظرا لمحدودية
قدرات الدولية المالية والبشرية.

¹ استخدمت هذه التسمية على نطاق واسع بين فقهاء القرن التاسع عشر الداعين إلى تنصيب الإمام إحساساً منهم بمخاطرة غياب النظام المركزي في البلاد. انظر كلاً من: الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت. 1226 هـ / 1811 م)، الرسالة الغلاوية، مخطوط، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط.. و الشيخ سيدي الكبير (ت. 1284 هـ / 1868 م)، الميزان القويم والصراط المستقيم، مخطوط.

² قدر عددهم كابولاني سنة 1902 بحوالي 60000 من أصل 100000، أي ما نسبته 60% وفي السبعينات قدر عددهم بحوالي 490180 وهو ما يعادل 36% من السكان.

Francis de Chassey L'etrier, **La Houe et Le Livre: "Societes Traditionnelles" Au Sahara Et Au Sahel,** Occidental l'Harmattan, 1993, p 92.

³ ولد السالم، حماد الله، المجتمع الأهلي الموريتاني: مدن القوافل 1898-1591. مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص 32

⁴ ولد السالم، حماد الله، الاسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى: دراسات ومراجعات دار الكتب العلمية، 2010، ص 45.

⁵ محمد المختار بن السعد، شربه أو أزمة القرن 17 في الجنوب الغربي الموريتاني، المعهد الموريتاني للبحث العلمي، نواكشوط، 1993، ص. 53.

⁶ الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة والرباط، الرباط، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، 1987، ص 36

⁷ الخليل النحوي، المصدر نفسه، ص 36

⁸ الخليل النحوي، ص 39.

⁹شمس الدين الذهب، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ج 8، ص 47.

¹⁰(انظر: الشيخ محمد المامي، كتاب البادية: صدر عن زاوية الشيخ محمد المامي، ضمن: "مجموعة من مؤلفات العلامة الشيخ محمد المامي"، ط 1، 2007م.

¹¹محمود، إزيد بيه بن محمد، الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي: فصول في التاريخ السياسي الموريتاني الحديث، المطبعة الوطنية، موريتانيا، 2001. ص 51.

¹² Camille Douls, « Cinq mois chez les Maures nomades du Sahara occidental », Paris, Tour du Monde, I, 1888, pp. 117-224

¹³ Camille Douls, Ibid, p 119.

¹⁴ Ibid., p. 206

¹⁵ Louis Faidherbe, Le Sénégal et la France dans l'Afrique occidentale, Paris, Hachette, 1889, 501 p., p. 45

¹⁶ Desfontaines, Fragments d'un voyage dans les régences de Tunis et d'Alger fait de 1783 à 1786, p. 21.

¹⁷ El Ghassem Ould Ahmedou, Traditional teaching in Mauritania: The Mahadra or school of camel, L'Harmattan, Paris, 1997,

¹⁸ El Bou Ould Izid Bih el la, L'enseignement coranique traditionnel dans les Mahadras de Nouakchott : Etats des lieux et perspectives, Réseau Ouest et Centre Africain de Recherche en Education, Mauritania, 2009

¹⁹ André Lecourtois, *Etude expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel en Mauritanie*, Entreprises et développement, rapport final de l'expert, Montrouge (France), SEMA, 1978.

²⁰ المختار بن حامد، حياة موريتانيا، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 20؛
النحوي، بلاد شنقيط، ص 118

²¹ Francis de Chassey, Mauritanie, 1900-1975: facteurs économiques, politiques, idéologiques et éducatifs dans la formation d'une société sous-développée L'Harmattan, 1984, p 12.

²² See his biography in: Henry Louis Gates and Kwame Anthony Appiah, Encyclopedia of Africa, Oxford University Press, 2010, p 221

²³ Nehemia Levtzion, "Abd Allah b. Yasin and the Almoravids", in: John Ralph Willis, Studies in West African Islamic History, p. 54.

²⁴ المختار ابن حامد، حياة موريتانيا، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 20
²⁵ الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة... والرباط، المرجع السابق، ص. 66.

²⁶ مدينة موريتانية مندثرة تقع أطلالها بين مدينتي شنقيط ووادان، اشتهرت في المأثور الشعبي بأنها كانت أيام ازدهارها تحتضن ثلاثمائة فتاة تحفظ "موطأ" الإمام مالك.

²⁷ ولد السالم، حماد الله، الاسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى :دراسات ومراجعات
دار الكتب العلمي 2010، ص 45

²⁸ البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى،
بغداد، د. ت. ص، و Ibid, p 45 Francis de Chassey

²⁹ الطالب أحمد بن اطيوير الجنة، الرحلة، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1982،
ص 45

³⁰ ابن بطوطة، محمد اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب
الأمصار وعجائب الأسفار، دار التراث، بيروت، د. ت. ص. 661.

³¹ Fernand Braudel, Ecrits sur l'histoire, Flammarion, Paris, 1984, p. 298

³² ولد السالم، حماد الله، الاسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى :دراسات ومراجعات
دار الكتب العلمية، 2010، ص 56.

³³ ولد السالم، حماد الله، المجتمع الأهلي الموريتاني :مدن القوافل 1898-1591. مركز

دراسات الوحدة العربية، 2008، ص 103

³⁴ النحوي، شنقيط المنارة والرباط، ص 61

- ³⁵ ولد عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17-18م)، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992-1993، ص 17.
- ³⁶ محمد بن محمد بن محمد، المحاضرة الموريتانية: الجامعة البدوية المتنقلة، مجلة التاريخ الإسلامي المغرب عدد 22، مجلد، 13، 1991، ص 199
- ³⁷ إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، المكتبة العلمية، طهران، دون تاريخ، جزآن، مادة، حظر،
- ³⁸ محمد الصوفي ولد محمد الأمين، المحاضر الموريتانية وآثارها التربوية في المجتمع الموريتاني، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، 1406 هـ، ص. 24.
- ³⁹ النحوي، شنقيط المنارة والرباط، ص 116
- ⁴⁰ محمود، إزيد بيه بن محمد، الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي: فصول في التاريخ السياسي الموريتاني الحديث، المطبعة الوطنية، موريتانيا، 2001، ص 45.
- ⁴¹ النحوي، شنقيط المنارة والرباط، ص 165
- ⁴² النحوي، شنقيط المنارة والرباط، ص 54
- ⁴³ Le Courtois, Etude experimentale sur l'enseignement traditionnel en Mauritanie, p 31
- ⁴⁴ Le Courtois, Ibid, p 54.
- ⁴⁵ El Ghassem Ould Ahmedou, Enseignement traditionnel en Mauritanie, p 54
- ⁴⁶ النحوي، شنقيط المنارة والرباط، ص 66.
- ⁴⁷ ولد السالم، حماد الله، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى: دراسات ومراجعات دار الكتب العلمية، 2010، ص 54
- ⁴⁸ نفسه، ص 57
- ⁴⁹ محمد بن محمد بن محمد، المحاضرة الموريتانية، ص 196
- ⁵⁰ : El Bou Ould Izid Bih el la, L'enseignement coranique traditionnel dans les Mahadras de Nouakchott : Etats des lieux et perspectives, Réseau Ouest et Centre Africain de Recherche en Education, Mauritania, 2009, p 12

⁵¹ El Bou Ould Izid, Ibid, p 12

⁵² محمد بن محمد بن محمد، المحاضرة الموريتانية، ص 196

⁵³ El Bou Ould Izid, Ibid, p 12

⁵⁴ ولد السالم، حماد الله، الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى: دراسات ومراجعات دار الكتب العلمية 2010، ص 61

⁵⁵ محمد مصطفى الندي، دور المحاضر في موريتانيا، المعهد العالي للدراسات والبحوث

الإسلامية - نواكشوط 1986، ص 21

⁵⁶ ولد عبد الله (ددود)، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17-18م)، ص 65.

⁵⁷ ولد عبد الله، المرجع نفسه، ص 66.

⁵⁸ ولد عبد الله، المرجع نفسه، ص 68

⁵⁹ El Ghassem Ould Ahmedou, Ibid, p 39.

⁶⁰ El Ghassem Ould Ahmedou, Ibid, p 41.

⁶¹ الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص 167.

⁶² أحمد الأمين المختار الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2002، ص 211- 276.

⁶³ محمد بن سيدي محمد مولاي، التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط. دار ابن تاشفين، موريتانيا، 2008، ص 41

⁶⁴ محمود بن محمد المختار الشنقيطي، لماذا الشناقطة يحفضون، كتاب الكتروني، دون بيانات نشر، ص 5

⁶⁵ محمود بن محمد المختار الشنقيطي، لماذا الشناقطة يحفضون، ص 8

⁶⁶ محمد بن سيدي محمد مولاي، التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط. دار ابن تاشفين - كيفة / موريتانيا، 2008، ص 36

⁶⁷ المختار بن محمد موسى، المحاضر الإسلامية في موريتانيا، مجلة الجامعية العربية للتربية والعلوم والثقافة، العدد 32، ديسمبر 1987، ص 40.

⁶⁸ الخليل النحوي، ص 147؛ محمد بن سيدي، التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ص 41

⁶⁹ محمد بن سيدي، التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط، ص 52؛ الخليل النحوي، بلاد

شنقيط، ص 147

⁷⁰ محمد المصطفى الندي، دور المحاضر في موريتانيا، ص 65

⁷¹ النحوي، بلاد شنقيط، ص 168.

⁷² El Ghassem Ould Ahmedou, Enseignement traditionnel en Mauritanie, p 76.

⁷³ محمد ولد محمد مختار، نظام التقويم في المدرسة التقليدية، مجلة التعليم، موريتانيا، العدد:

28، السنة: 1418هـ، ص 42.

⁷⁴ Ould Izid indicate that 42% of the food of the Mahadaras in Mouritania, is provided by the Shieks. See: El Bou Ould Izid Bih el la, L'enseignement coranique traditionnel dans les Mahadras de Nouakchott: Etats des lieux et perspectives, Réseau Ouest et Centre Africain de Recherche en Education, Mauritania, 2009, p 25

⁷⁵ André Lecourtois, Etude expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel, 1978, p. 37

⁷⁶ According to Ould Izid, the society contribute by 7% of the food supply, see: Ould Izid, Ibid, p 25

⁷⁷ الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص 142

⁷⁸ محمد مصطفى الندي، دور المحاضر في موريتانيا، ص 45؛ الخليل النحوي، بلاد

شنقيط، ص 143

⁷⁹ According to Ould Izid, the society contribute by 34% of the food supply, see: Ould Izid, Ibid, p 25

⁸⁰ محمد مصطفى الندي، دور المحاضر في موريتانيا، ص 45؛ الخليل النحوي، بلاد

شنقيط، ص 143.

⁸¹ في سنة 1903م منعت السلطة الاستعمارية افتتاح أي محضرة جديدة، وأنشئت لجان

مراقبة للمحاضر الموجودة، وطردت العديد من طلبتها الذين تتراوح أعمارهم من 6 إلى 16

عامًا تم توجيههم قسرا للمدارس الفرنسية، ولما لم تؤثر سياسة العصا الغليظة عمدت

السلطات الفرنسية إلى أساليب الترغيب، أملاً في أن تكون أجدى في احتراق جدار المحضرة

المنيع، فأصدر في 12 يونيو 1906م مرسوماً يقضي بصرف منحة تشجيعية قدرها 300

فرنك فرنسي لكل شيخ محضرة (أو كتاب) يأمر طلابه بتخصيص وقت لتعلم اللغة الفرنسية.

لكن مع ذلك لم يستجب أي شيخ لهذه المبادرة. انظر: Francis de Chassey 65-72

Pettigrew, Erin, Colonizing the Mahadra: Language, Identity, and Power in Mauritania Under French Control, Ufahamu: A Journal of African Studies, 33(2-3), 2007, p 62-89.

⁸² أنظر تقرير من الحاكم الفرنسي العام لغرب إفريقيا إلى وزير المستعمرات الفرنسي يتعلق بمهمة كوبولاني في منطقة الترازة بالجنوب الغربي الموريتاني (ديسمبر/كانون الأول 1902)،
الأرشيف الوطني الموريتاني، نواكشوط، الملف 18 E / وتقرير شينو C رئيس مصلحة التعليم
الابتدائي شينيو في تقرير بتاريخ غرة أكتوبر سنة 1934: تقرير رقم 795،
1934/10/01، الأرشيف الوطني، نواكشوط/ موريتانيا. (ملف 44. E2). نقلاً عن:

الخليل النحوي، بلاد شنقيط، المنارة... والرباط، المرجع السابق

⁸³ André Lecourtois, Etude expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel, 1978, p. 32.

⁸⁴ des Maures, Mémoires de l'I.F. AN. (Institut Français de l'Afrique Noire), n. 23, Dakar, 1953, pp. 111-252, p. 119.

⁸⁵ نتيجة سياسة المقاطعة قدرت نسبة التلاميذ في المدارس في كل موريتانيا سنة 1932 بـ

1,1% من إجمالي عدد الأطفال في سن الدراسة، وكان عدد مجموع الطلبة في المدارس

النظامية سنة 1932 ، 438 تلميذا فقط مقسمين على 7 مدارس فرنسية. Francis

Dechassey, La Mauritanie 1900-1975, L'etrier, la Houe et le Livre Ed. Anthropos, Paris 1977, p 156

⁸⁶ Henri Vincent, «Voyage et expédition au Sénégal et dans les contrées voisines. Voyages dans l'Adrar et retour Saint-Louis», Paris, Tour du Monde, 1860, pp. 17-33 et pp. 49-64.

⁸⁷ René Caillé, Voyage Tombouctou, Paris, 1989, Editions la Découverte.

⁸⁸ sériz D: Affaires militaires (1763-1920): Sous-série 1 D: Opérations militaires, Sénégal et Dépendances (1823-1894), Expédition contre les Maures, 1854-1856.

⁸⁹ طه حسين، الأيام، دار المعارف، مصر، ج 1، ص 154.

⁹⁰ محمد رشيد رضا، مجلة المنار - المجلد: 4، ص: 441، العدد الصادر بتاريخ:

1319/5/16 هـ / 1901/8/31؛ المجلد: 5، ص: 634، العدد الصادر بتاريخ:

1320/8/16 هـ

أحمد حسن الزيات، مجلة الأزهر - العدد: 22 - الصادر بتاريخ: 1381 هـ / 1961 م
⁹¹ عبد العزيز بن عبد الله السنبل، دور المحاضرة في بلاد شنقيط، منشورات المنظمة العربية
 للثقافة والعلوم، المغرب، دت، ص 11

⁹² ادريسي، أبو علي القلقمي، أعلام الشناقطة في الحجاز و المشرق :جهودهم العلمية
 و قضاياهم العامة من القرن الخامس الى القرن الخامس عشر الهجريين. دار النشر الدولي
 للنشر و التوزيع، 2009، ص 211.

⁹³ ماء العنين ولد محمد الأمين، ابن التلاميذ الشنقيطي حياته وآثاره في النحو واللغة،

ماجستير من جامعة الفاتح، طرابلس، السنة الجامعية 1984 م. ص 117

⁹⁴ محمود، إزيد بيه بن محمد، الزوايا في بلاد شنقيط في مواجهة الاستعمار الفرنسي :فصول
 في التاريخ السياسي الموريتاني الحديث، المطبعة الوطنية، موريتانيا، 2001، ص 76.

⁹⁵ André Lecourtois, Etude expérimentale sur
 l'enseignement islamique traditionnel, 1978, p

⁹⁶ محمد المصطفى الندى، دور المحاضر في موريتانيا، ص 98

⁹⁷ RAMS PROJECT, Rural Assessment and Manpower
 Surveys (Mauritania) (Non-Formal Education), 1981, p 13;
 Lecourtois, *Etude expérimentale sur l'enseignement islamique
 traditionnel en Mauritanie*, p 63

⁹⁸ محمد عبد الرحمن، المحاضر الموريتانية، قلاع العلم الصامدة في أعماق الصحراء، مجلة الرؤية
 القطرية، 2010/09/10.

⁹⁹ Ould Ahmedou, Elghassem et autres. Mise en place de
 passerelles entre les deux systèmes éducatifs moderne et
 traditionnel. Dactylo, p 188

¹⁰⁰ El Ghassem Ould Ahmedou, Enseignement traditionnel
 en Mauritanie, p 187.

- ¹⁰¹ يتوفر بين ايدينا إحصاء سنة 1973، الذي يتسم بعدم الدقة والتناقضات الكثيرة زيادة على عدم تغطيته لكافة أنحاء البلاد، ويتعارض هذا الإحصاء مع إحصاء الباحث الفرنسي le Courtois الذي نشره سنة 1978م
- ¹⁰² أكاديمي موريتاني يحاضر في تونس حول تجربة بلاده في مجال التعليم المحظري. صحراء ميديا، نواكشوط 15 سبتمبر 2012
- ¹⁰³ El Bou Ould Izid Bih el la, L'enseignement coranique traditionnel dans les Mahadras de Nouakchott: Etats des lieux et perspectives, Réseau Ouest et Centre Africain de Recherche en Education, Mauritania, 2009, p 12
- ¹⁰⁴ Lecourtois, *Etude expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel en Mauritanie*, p 76
- ¹⁰⁵ Source: FAOSTAT 2006; n.r. no record
- ¹⁰⁶ الإحصاء الموريتاني الوطني لسنة 1977
- ¹⁰⁷ CIA World Factbook
- ¹⁰⁸ المنظمة العربية للثقافة والعلوم، الجمهورية الإسلامية الموريتانية، دراسة مسح شاملة ص 774.
- ¹⁰⁹ Catherine Taine-Cheikh, The (R)Urbanization of Mauritania, Historical context an contemporary developments, Arabic in the City. Issues in dialect contact and language variation, C. Miller, E. Al Wer, D. Caubet & J. Watson (Ed.) (2007) 35-54"
- ¹¹⁰ Ould Cheikh, A. W. (2006) "Nouakchott, capitale nomade?", in Nouakchott capitale de la Mauritanie: 50 ans de défi, Saint Maur des Fossés: Sépia, pp. 139–148.
- ¹¹¹ Nouakchott Travel Guide. World66. Accessed 25 December 2013.
- ¹¹² Lecourtois, *Etude expérimentale sur l'enseignement islamique traditionnel en Mauritanie*, p 199
- ¹¹³ محمد المهدي ولد البشير، لا يمكن القضاء على الإرهاب قبل تغيير مناهج المحاضرة، موقع اقلام 05-02-2011

¹¹⁴ محمد ولد شينا، التكنولوجيا تغزو قلاع موريتانيا العلمية، مجلة المجتمع، تاريخ :

31-08-2013

¹¹⁵ محمد ولد شينا، المرجع نفسه.